دوافع عطايا وهبات الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول

(-)

مُقَدِّمَة

يتناول هذا البحث دوافع عطايا وهبات الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول (١٣٢- ٢١٨هـ)، يأخذ في هذه الفترة وجوه عده منها السياسي والاجتماعي والإنساني والعسكري والدافع الديني، فضلا عن سمته العالية وهي التي عنت بالرواتب الثابتة للمقاتلة العرب والتي هي ليست محور هذا البحث، والذي لم يقع بين يدي ممن كتب في هذا الموضوع، وقد أشرت بشيء من التفصيل عن العطايا والهبات والمنح والجوائز التي كان الخلفاء العباسيون يهبونها الى المصريين منهم كما سنشاهده في المحاور الاتية:

المحور الأول:- تحدثت فيه عن الدافع السياسي لعطايا الخلفاء العباسيين التي كانت تستهدف كسب الولاء والطاعة للخلفاء لا سيما وان خلفاء هذا العصر كانوا على درجة عالية من الحنكة السياسية.

المحور الثاني:- تناولت فيه الدافع الاجتماعي واهتمام الخلفاء برعاياهم وذلك من أجل تحقيق المصلحة العامة لرعايا الدولة.

المحور الثالث:- الدافع الأدبي، أوضحت فيه ميل الخلفاء العباسيين وحبهم للشعر وتقريبهم للشعراء فكانوا يقربون كبار الشعراء ويفدقون عليهم العطايا والهبات تشجيعاً منهم للحركة الأدبية وطمعاً في مدح هؤلاء لهم فضلاً عن وجود قبلي لبعض الخلفاء نحو الجوانب الأدبية ومنهم المهدي.

المحور الرابع:- ولم نهمل الدراسة عن الدافع الإنساني للخلفاء العباسيين في تعاملهم مع الرعية حيث كان الخلفاء يفرقون العطايا والمنح لحالات إنسانية كثيرة وذلك تمسكاً بتعاليم الإسلام الرشيدة.

المحور الخامس:- وكان للدافع العسكري أثر فاعل في اهتمام خلفاء العصر العباسي الأول بالقادة والجند الذين يرابطون على مناطق الثغور حيث كانوا يغدقون عليهم العطايا والهبات باعتبارهم السد المنيع الذي يحمي الدولة العباسية من الإخطار الخارجية.

المحور السادس:- الدافع الديني الذي لا يمكن انكاره إذ تمسك الخلفاء بتعاليم الإسلام السامية، وكانوا يغدقون الأموال على الفقراء والمحتاجين من أجل تحقيق وضع معاشي أفضل بل تعدى الأمر أكثر من ذلك، فقد حرص الخلفاء العباسيين على حضور مجالس القضاة إقرارا للحق والعدل وتحقيقاً للعدالة الإنسانية التي تأمر بها الشريعة الإسلامية السمحاء.

مفهوم العطاء

العطاء لغة:- اسم لما يعطى، وإذا سميت الشيء بالعطاء من الذهب والفضة قلت أعطية وأعطيات[١]، والعطو: التناول باليد[٢].

والعطاء: اسم لما يعطى وهي العطية والجمع عطايا، وجمع العطايا أعطية[٣].

العطاء اصطلاحاً:- هو ما يفرض للمقاتلة من بيت المال في كل سنة مرة أو مرتين[٤].

لما كان المال الركن الأساس الذي ترتكز عليه الدول ومنها الدولة العباسية لضمان قوتها واستمرارها، فقد أدرك خلفاء العصر العباسي الأول (١٣٢- ٢١٨هـ) أهمية العطايا والهبات لما لها من تأثير كبير في النفوس، ووجدت أن هناك دوافع كثيرة لهذه العطايا والهبات منها سياسية واجتماعية وأدبية وإنسانية وعسكرية ودينية وسأتناول في بحثي هذا كل دافع من هذه الدوافع.

١- الدافع السياسي:-

يُعد الدافع السياسي من المحفزات المهمة في كل زمان ومكان، ولما ولي العباسيون الخلافة أولوا أقاليم الدولة عناية خاصة من ناحية العطايا، فهذا الخليفة السفاح[٥](١٣٢-١٣٦هـ)، وهو أول خلفاء بني العباس قد كان من اسخى الناس ما وعد عدةٌ فأخرها عن وقتها ولا قام من مجلسه حتى يقضيها وقال عبد الله بن الحسن العلوي مرة أمامه: سمعت بألف ألف درهم وما رأيتها قط، فأمر بها وأحضرت، وأمر بحملها معه إلى منزله[٦].

ولما حج الخليفة المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) أعطى أشراف القرشيين ألف دينار لكل واحد منهم فكان ممن أعطى الألف دينار، هشام بن عروة، وأعطى أهل قريش صحاف الذهب والفضة، وأعطى بالمدينة عطايا لم يعطها احد من قبله[٧].

أما عن الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) فقد أكرم أهل المدينة، فاختار خمسمائة رجل من الأنصار، وصحبهم معه إلى بغداد ليكونوا حرساً خاصاً له، واجري عليهم ارزاقاً، سوى أعطياتهم[٨].

وأصاب في زمن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) أهل المدينة ثلاث أعطيات في سنة واحدة، حيث قدم الرشيد مدينة الرسول(ﷺ) ومعه ابناه الأمين والمأمون فأعطى فيها العطاء، وقسم في تلك السنة في رجالهم ونسائهم ثلاثة أعطية، فكان الثلاثة الأعطية، التي قسمها فيهم ألف ألف وخمسين ألف دينار[٩].

على الرغم من أن هناك مبالغة واضحة في هذا المبلغ لكن هذا لا يمنع من أن الخليفة الرشيد كان كريماً جواداً وهو أشهر الخلفاء العباسيين في هذا المجال.

ويحدثنا ابن طباطبا (ت٢٤٠هـ) انه لما وصل المأمون(١٩٨-٢١٨هـ)[١٠] إلى دمشق قل المال عنده، فشكا ذلك إلى أخيه المعتصم وكان يلي بعض إعمال الدولة، فلم يمض أسبوع واحد حتى وافاه من المال ثلاثون ألف ألف ألف، فقال المأمون لقاضيه يحيى بن أكثم: اخرج بنا لننظر إلى هذا المال، فخرج وخرج الناس معه، وقد زين الحمل وزخرف، فقال المأمون: أن انصرافنا إلى منازلنا بهذا المال وانصراف الناس خائبين لؤم ثم أمر كاتبه أن يعطي بعض خاصته ألف ألف والبعض الأخر أكثر من ذلك، حتى فرق أربعة وعشرين ألف ألف ألف، ثم أمر فحول الباقي على الجيش [١١] ومصالحه ويبدو للباحث أن هذا الرقم غير صحيح فلا يصح أن يكون المعتصم قد جمع كل هذه الأموال الكثيرة وأرسلها إلى أخيه خلال سبعة أيام؟ كيف جمعها بهذه المدة القصيرة وبأي وسيلة بريدية أرسلها مما يشكك في صحة الأرقام الواردة منها.

كما كان المأمون كثير الإغداق على حاشيته حتى قالوا انه فرق في ساعة واحدة، أربعة وعشرين ألف ألف درهم[١٢] وذلك لكسب المؤيدين والأنصار.

٢- الدافع الاجتماعي:-

اهتم الخلفاء العباسيين بالعطايا والهبات لدوافع اجتماعية مما لها تأثير كبير في نفوس الرعايا والناس.

فتشير النصوص ان الخليفة العباسي السفاح خاطب أهل الكوفة قائلاً لهم ((يا أهل الكوفة انتم محل محبتنا، وانتم الذين لم يتغيروا عن ذلك تحامل أهل الجور

عليكم حتى أدركتم زماننا واتاكم الله بدولتنا فانتم اسعد الناس بنا وأكرمهم علينا، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا، فأنا السفاح المبيح والثائر المبير))[١٣].

وكان الخليفة المنصور يجود إذا دعت الضرورة، لكنه لا يعطي إلا إذا اقتضت ذلك مصلحة الدولة، حيث كان يعطي الجزيل والخطير ما كان عطاؤه حزماً ويمنع الحقير اليسير ما كان إعطاؤه تضييعاً[١٤].

فقد سأله هشام بن عروة بن الزبير المحدث سنة(١٤٦هـ) أن يقضي عليه دينه ومقداره مائة ألف درهم، فأجابه إلى ذلك فهوى هشام على يد الخليفة يقبلها، فمنعه، وقال له: يا ابن عروة إنا أكرمك عنها ونكرمها عن غيرك[١٥] وهذا يدل على مدى حرص الخليفة المنصور بالأموال والمحافظة عليها.

أما الخليفة المهدي والمشهور بعفوه وتسامحه فقد ثار عليه عبد الله بن مروان في الشام سنة (١٦١هـ) ونجح المهدي في إخماد الثورة والقبض على زعيمها عبد الله بن مروان فعفا عنه الخليفة وأدرَ عليه العطايا والهبات[١٦] والحقيقة أن الخليفة المهدي قد حرص على إرضاء أهل الشام وتسكين خواطرهم.

وفي عهد الخليفة المهدي أيضا (قسم أمير المؤمنين المهدي قسماً على يد المغيرة بن حبيب سنة أربع وستين ومائة، فأصاب مشيخة بني هاشم أكثرهم خمسة وستون ديناراً واقلهم خمسة وأربعون ديناراً، ومشيخة القريشيين أكثرهم خمسة وأربعون ديناراً واقل القريشيين سبعة وعشرون ديناراً، ومشيخة الأنصار أكثرهم سبعة وعشرون ديناراً واقل الأنصار سبعة عشر ديناراً والعرب أكثر من الموالي لا ادري كم أعطوا أو مشيخة الموالي خمسة عشر ديناراً واقل الموالي على اليسير: السداسي ستة دنانير وكان عدد الناس الذين اكتتبوا ثمانين ألف إنسان، وقال المغيرة بن حبيب، ربما رأيت الإنسان الهيء وقد قصر به نقيبه وكتبه في غير نظرائه فأعطيه من مالي حتى عزمت مالاً)[١٧].

في زمن الخليفة هارون الرشيد حيث قدم الخليفة مدينة الرسول الكريم (ﷺ) ومعه أبناءه محمد الأمين وعبد الله المأمون فأعطى فيها العطاء وقسم في رجالهم ونسائهم ألف ألف وخمسين ألف دينار، وفرض الخمسمائة من وجهاء موالي

المدينة، فقرض لبعضهم في الشرف منهم يحيى بن مسكين وابن عثمان ومفراق مولى بني تميم[١٨].

وكان يتصدق من صلب ماله بألف درهم في كل يوم[١٩] وعندما استخلف المأمون أمر لكل من ابنه العباس وأخيه المعتصم بخمسمائة ألف دينار[٢٠].

٣- الدافع الأدبي:-

اهتم الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الأول بالشعر والشعراء باعتبارهم الواجهة الإعلامية التي تعطي الصورة الحقيقية للحياة الأدبية في تلك الفترة، وعليه كان خلفاء بني العباس يقربون الشعراء ويفرقون عليهم العطايا والهبات.

ففي زمن الخليفة أبي العباس السفاح، قال أبو الحسن ألمدائني قصيدته التي يقول فيها:-

أن الخيار من البرية هاشم وبنوا أمية أرذل الأشرار

وبنوا أمية عودهم من خروع ولهاشم في المجد عودٌ نضارُ

إما الدعاة إلى الجنان فهاشم وبنو أمية من دعاة النار

قال فلم يصله أبو العباس بشيء، وقال: هذا الشعر لغيره، فخرج من عنده يقول:-

ياليت جور بني مروان عادلنا وان عدل أبي العباس في النار

قال فبلغ ذلك لأبي العباس فضحك وقال: لا يلام، ردوه فأمر له أبو العباس بثلاثمائة دينار[٢١].

واستأذن سديف بن ميمون فأذن له الخليفة السفاح فدخل، فلما مثل بين يديه تبسم الخليفة في وجهه وقال: إيه يا سيف فانشد ابياتاً مطلعها:-

أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس

فأمر له الخليفة بألف دينار وخيار ثيابه[٢٢].

وفي زمن الخليفة أبي جعفر المنصور اقبل إليه سديف بن ميمون فدخل عليه، فأستأذن فإذن له بالنشد، فقال أبياتاً مطلعها:-

هذا القائم العدل لذي كنا نرجيه لذي الإسلام وأوتاد مراثيه

إلى أخرها، قال: فأمر له الخليفة المنصور بجائزة سنية وكساه أثوابا من وشي أل مروان[٢٣].

أما في زمن الخليفة المهدي أتاه الحاجب فقال : ابن أبي حفصة بالباب فقال: لا تأذن له فأنه كذاب فكلمه الحسن بن قحطبة فيه، فأدخله فقال له المهدي: الست القائل في معن بن زائدة الشيباني:-

جبل تلوذ به نزار كلها صعب الذرى متمنع الأركان

قال بل إنا الذي أقول فيك يا أمير المؤمنين:-

يا ابن الذي ورث النبي محمداً دون الأقارب من ذوي الأرحام

وانشده الأبيات كلها، فرضي عنه وأجازه[٢٤].

ويروي الطبري (ت٣١٠هـ) قصة تبين اهتمام الخليفة المهدي بالشعر فقد رأى احد جواريه، وقد وضعت على رأسها تاجاً فيه نرجس من ذهب وفضة، فاستحسنه وقال(يا حبذا النرجس في التاج) ثم دعا الشاعر عبد الله بن مالك، وطلب منه أن يصنع بيتاً من الشعر يحوي هذه العبارة، فأنشد:-

يا حبذا النرجس في التاج على جبين لاح كالعاج

وانعم المهدي على الشاعر بأربعين ألف درهم[٢٥].

إما في زمن الخليفة هارون الرشيد، قال الأصمعي: قال الرشيد يا أصمعي ما أغفلك عنا واجفاك لنا، قلت، والله يا أمير المؤمنين مالاقتني بلاد بعدك حتى أتيتك، فسكت، فلما تفرق الناس قال: ما لاقتني؟ **قلت:-**

كفاك كف ما تليق درهماً جوداً وأخرى تعطى بالسيف الدماء

فقال: أحسنت، وهكذا فكن، وقرنا في الملا وعلمنا في الخلا، وأمر لي بخمسة ألاف دينار[٢٦] واستأذن أبو نواس الخليفة الأمين(١٩٣-١٩٨هـ) في النشيد، فقال ابياتاً مطلعها:-

أيها الرائحان باللوم لوما لا أذوق المدام إلا شميما

نالني بالملام فيها أمام لا أرى في خلافه مستقيماً

فتبسم الأمين وأحسن جائزته وانصرف[٢٧].وفي زمن الخليفة المأمون، اقبل إليه الشاعر أبو محمد الزيدي، فدخل عليه، فأستأذن فأذن له، فمدح المأمون بابياتاً مطلعها:-

لتهن أمير المؤمنين كرامة عليها بها شكر الإله وجوب

بان ولي العهد مأمون هاشم يد أفضله إذ قام وهو خطيب

ولما رماه الناس من كل جانب بإبصارهم والعود منه صليب

فأستحسن المأمون شعره وأمر له بخمسين ألف درهم[٢٨] ويبدو أن الخلفاء العباسيين يحبون سماع الشعر وكانوا ميالين له كثيراً وخاصة إذا كان في مدحهم ويجزلون العطاء والهبات الكثيرة لمن يمدحهم من الشعراء للإشادة بكرمهم وأفعالهم.

٤- الدافع الإنساني:-

وللناحية الإنسانية أهمية كبيرة في حياة الخلفاء العباسيين وذلك من خلال مواقفهم الإنسانية مع الرعية تأكيداً منهم على هذه الناحية وتمسكاً بمبادئ العقيدة الإسلامية.

ففي زمن الخليفة أبي العباس السفاح: دخل عليه عبد الله بن الحسن بن حسن بن علي(رضي الله عنه) ومعه مصحف فقال له:يا أمير المؤمنين أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف فقال له: أن جدك علياً خيراً مني واعدل، ولي هذا الأمر فأعطى جديك الحسن والحسين وكان خيراً منك وأفضل شيئاً، وكان الواجب

أن أعطيك مثله، فأن كنت قد فعلت فقد أنصفتك وان كنت زدتك فما كان هذا جزائي منك فما رد عليه عبد الله جواباً ثم وصله بألفي درهم[٢٩].

وعندما استخلف المنصور ((انه كان على علاقة بأزهر السمان قبل خلافته فلما ولي الخلافة، قصده أنهم في بغداد، فلما مثل بين يديه، قال المنصور: حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين علي دين أربعة ألاف درهم، وداري مستهدمه وابني محمد يريد البناء بأهله، فأمر له باثني عشر ألف درهم))[٣٠] وهذا يدل على أن الخليفة المنصور لم يكن بخيلاً بالمال بقدر ما كان حريصا عليها وهذا هو يجزل العطاء عندما تسمح ظروف الدولة بالعطاء، ويمنع ذلك عندما تكون الظروف غير مناسبة لا سيما وأن الدولة محفوفة بالمخاطر.

وأمر الخليفة المهدي أن تقوم الدولة بالاهتمام بالمجذومين والمسجونين وتوفير ضروريات الحياة لهم[٣١].

وفي زمن المهدي أيضاً توقف التنكيل بالأسرة الأموية وأكرم المهدي نساء مروان بن محمد أخر الخلفاء الأمويين(١٢٧-١٣٢هـ) وسمح لهن بالإقامة في قصره، فكن موضع تكريمه[٣٢].

واعترضت امرأة موكب لمهدي فقالت: يا عصبة رسول الله(ﷺ) أنظر في حاجتي، فقال المهدي لأصحابه: ما سمعتها من احد قط، اقضوا حاجتها، وأعطوها عشرة ألاف درهم[٣٣] وهذه صورة حقيقية لإنسانية المهدي.

إما في زمن الخليفة الرشيد فقد أهدى له مره عبد عصير فاشتراه واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار واعتقه ووهبها له[٣٤].

وفي زمن الخليفة المأمون: قال الخليفة المأمون لمحمد بن عباد بن المهلب: يا أبا عبد الله، قد أعطيتك ألف ألف وألف ألف، وألف ألف، وأن عليك ديناً، فقال: يا أمير المؤمنين(أن منع الموجود سوء ظن بالمعبود، فقال أحسنت يا أبا عبد الله، ألف ألف وألف ألف[٣٥]، ويرى الباحث أن هذا الرقم مبالغ فيه، وان كان هذا صحيحاً فهذا يدل على قوة الدولة ومتانة وضعها الاقتصادي.

وعندما فتح المأمون(حصن قره) وغنم ما فيه أشترى السبي بستة وخمسين ألف دينار، ثم خلى سبيلهم وأعطاهم ديناراً ديناراً[٣٦].

٥- الدافع العسكري:-

اهتم الخلفاء العباسيون بمنح العطايا والهبات للجيش باعتبارهم الدرع الحصين الذي يذود عن حدود الدولة العربية الإسلامية وحماية ثغورها من أي اعتداء خارجي.

فقد رفع الخليفة أبو العباس السفاح أرزاق الجند إلى ثمانين، وأمر لمن شهد معركة الزاب[٣٧] بخمسمائة خمسمائة[٣٨].

وفي زمن الخليفة أبي جعفر المنصور شجع المقاتلة على السكن في مناطق الثغور وغيرها من مراكز الاحتكاك الحربي مع العدو، فزاد من أعطياتهم بمقدار عشرة دنانير لكل مقاتل ومعونة ١٠٠دينار، وشحنها بالسلاح[٣٩].

لكسب طاعتهم وولائهم ولكي يكونوا درعاً حصيناً لحماية الدولة العربية الإسلامية من الاعتداءات الخارجية.

إما عن الخليفة المهدي(جلس المهدي ذات يوم يعطي عطايا هبات تقسم بحضرته في خاصة أهل بيته والقواد، وكان يقرأ عليه الأسماء، فيأمر بالزيادة ، العشرة ألاف والعشرين ألف، وما أشبه ذلك فعرض عليه بعض القواد فقال: يحط هذا خمسمائة، قال، لم حططتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا: فو الذي أكرمك بما أكرمك به من الخلافة لو ثبت لقتلت، فاستحى المهدي منه وقال: (زده خمسة ألاف)[٤٠].

وغضب المهدي على بعض القواد، وكان عتب عليه غيره مرة، فقال: إلى متى تذنب ألي وأعفو؟ قال: إلى ابد نسيء ويبقيك الله فتعفو عنا: فكررها عليه مرات فاستحى منه ورضي عنه وأحسن جائزته[٤١] وعندما استخلف هارون الرشيد، بايعه كبار القواد ووجوه بغداد وأعيانهم ووزع عليهم العطايا والهبات[٤٢] وفي زمن الخليفة المأمون وكان في مجلسه القواد والخواص وأمر لهم بالصلات والجوائز[٤٣].

٦- الدافع الديني:-

اهتم الخفاء العباسيين بالأمور الدينية، وذلك تمسكاً بتعاليم الإسلام الرشيدة، كما كانوا يعفون عن أعدائهم ويغفروا لهم هفواتهم، بحيث أصبحت النزعة الدينية عند الخلفاء العباسيين واضحة جلية، وذلك من خلال اتصالهم برجال الدين التزاماً بمبادئ الشريعة الإسلامية.

فيروى عن الخليفة المنصور(أن الحمالين الذين نقلوا متاعه وأحماله في طريق الحج، اشتكوا إلى قاضي المدينة محمد بن عمران ألطلحي، يشتكون المنصور إليه لعدم أعطائه أجورا ترضيهم، فكتب القاضي إلى الخليفة الحضور في مجلس الحكم، فلما حضر حكم القاضي لهم على الخليفة وطلب منه إنصافهم، ففرح المنصور بذلك وقال: جزأك الله عن دينك أحسن جزاء، وقد أمرت لك بعشرة ألاف دينار[٤٤] وربما كان الخليفة المنصور يتقصد ذلك ليرى بنفسه مدى عدالة القضاة، وكيف تسير أحكامهم في باقي أقاليم الدولة الإسلامية وذلك تحقيقاً للعدل والمساواة.

وفي زمن الخليفة المهدي صام الناس شهر رمضان في صميم الصيف، وكان الشاعر أبو دلامة، إذ ذلك يطالب بجائزة وعدها إياه المهدي: فكتب إلى المهدي رقعة يشكوه إليه فيها ما لقى من الحر والصوم، فقال في ذلك:-

ادعوك بالرحم التي جمعت لنا في القرب بين قريبنا والأبعد

فلما قرأ المهدي الرقعة دعا به، فقال له المهدي:أي قرابة بيني وبينك، قال: رحم الله ادم وحواء فضحك المهدي وأمر له بجائزة[٤٥] وكان المهدي يهتم بشؤون رعاياه فكان يخرج في الليل يطوف الطاقات ليطلع على أحوال الرعية.

وفي رحلة إلى الحجاز، خرج يطوف طرقات مكة في هدأه من الليل، فسمع أعرابية من جانب المسجد وهي تقول: قومي مقتدرون، نبت عنهم العيون وفدحتهم الديون وعضتهم السنون، بادت رجالهم، ذهبت أموالهم، وكثر عيالهم، أبناء سبيل وإلقاء الطريق وصية الله ووصية الرسول(ﷺ)، فهل من أمر لي بخير كلاه الله في سفره وخلفه في أهله؟ فأمر المهدي خادمه نصيراً فدفع إليها خمسمائة درهم[٤٦].

وكان المهدي يعود المرضى ويحسن إلى الفقراء، مرض أبو عون عبد الملك بن يزيد، فعاده المهدي ((فإذا منزل رث وبناء سوء، وإذا طاق صنعته التي هو فيه لبن، وإذا مضربه ناعمة في مجلسه، فجلس المهدي على وسادة وجلس أبو عون بين يديه فبره المهدي، وتوجع لعلته))[٤٧] وأمر المهدي بجائزة سنية، وهذه صورة حية من تواضع وبساطة الخليفة المهدي.

وأشارت بعض الروايات أن الرشيد جلس للمظالم خارج بغداد فجلس في الرقة على ضفاف الفرات إثناء مكوثه فيها مده وجيزة[٤٨] فقصده المتظلمون أهالي البصرة، والمناطق الأخرى القريبة والبعيدة من الدولة فجاءه عمر بن أيوب الموصلي متظلماً يشكو قاضي مدينته عبد الله بن الخليل الكرجي فأدركه أجله هناك[٤٩] كما أحضر لمجلسه علي بن الخليل المتهم بالزندقة، فأنشده شعراً دافع فيه عن نفسه من التهمة الموجهة أليه وتبرأ منها واظهر تمسكا بتعاليم الدين فأمنه وأجزل له العطايا[٥٠] ليرفع الحيف والظلم عن المظلومين.

وكان أبو يوسف(ت١٨٢هـ) انه قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة(ت١٥٠هـ) فحنث بعض القواد في يمينه فطلب فقيهاً يستفتيه فيها فجيء بابي يوسف فوهب له دنانير واخذ له دارا بالقرب منه[٥١] ودخل أبو يوسف على الرشيد يوما فقال له الخليفة: ما تقول في أمام شاهد رجلاً يزني هل يحده؟ قلت لا يجب ذلك، قال: ثم رفع رأسه فقال: ومن أين قلت هذا؟ قلت لأن النبي(ﷺ) قال: ادرؤوا الحدود بالشبهات- وهذه شبهه يسقط الحد معها، فقال: وأي شبهه مع المعاينة؟ قلت: ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما يجري والحكم في الحدود لا يكون بالعلم قال ولم؟ قلت لان الحد حق الله تعالى ولقد اجمع المسلمون على وقوع الحد بالإقرار والبينة[٥٢].

وفي زمن الخليفة المأمون الذي كان عادلاً ومنصفاً إلى حد بعيد، حدث بعض المعاصرين قال ((شهدت المأمون وقد ركب بالشماسية وخلف ظهره احمد بن هشام، فصاح به رجل من أهل فارس: الله الله يا أمير المؤمنين فان احمد بن هشام ظلمني واعتدى عليَّ: فقال: ما أقبح بنا وبك أن تقفك وصاحبك هذا ارؤوس هذه

الجماعة، ويقصد في مجلس خصمك، ويسمع منه كما يسمع منك، ثم تكون محقاً، ثم تكون مبطلاً، فكيف أن كنت في صفته لك، فوجه أليك من يحوله من بابنا إلى رحلك، وأنصفه من نفسك وأعطه ما انفق في طريقه ألينا ولا تجعل لنا ذريعة إلى ما تكره فو الله لو ظلمت العباس ابني كنت اقل نكيراً عليك من أن تظلم ضعيفاً لا يجدني في كل وقت، ولا مجلواً له وجهي، وسيما من تجشم السفر البعيد وكابد حر الهواجر وطول المسافة)[٥٣] قال المحدث المعاصر فوجه أليه احمد فجاء به وكتب إلى عامله يرد عليه ما أخذ منه ويشتمه ويعتقه، ووصل الرجل بأربعة ألاف درهم[٥٤].

وجلس المأمون يوماً للمظالم، فكان أخر من تقدم إليه امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثه، فوقفت بين يديه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم، فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمي في حاجتك، فقالت[٥٥]:-

يا خير منتصف يهدى له الرشد ... ويا أماماً به قد أشرق البلد

تشكو أليك عميد القوم أرملة ... عدا عليها فلم يترك لها سبد

فتقدمت إليه وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقالت: وعليك السلام، أين الخصم؟ فقالت الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين، وأومأت إلى العباس أبنه، فقال لأحمد بن أبي طالب خذ بيده فأجلسه معها فجلس الخصوم، فجعل كلامها يعلو كلام العباس، فقال لها احمد بن أبي طالب: يا امة الله، انك بين يدي أمير المؤمنين، وانك تكلمين الأمير، فاخفضي من صوتك، فقال المأمون: دعها يا احمد فان الحق انطقها وأخرسه، ثم قضى لها برد ضيعتها أليها وظلم العباس بظلمه لها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها، أن يوفر لها ضيعتها ويحسن معاونتها وأمر لها بجائزة[٥٦]، وهذا مثل رفيع ونموذج عالي من نماذج الحق والعدل والمساواة((وكان للمأمون خادم يتولى وضوءه، فكان يسرق طساسه، فبلغ ذلك المأمون فعاتبه، ثم قال له يوماً وهو يوضئه: ويحك: لم تسرق هذه

الطساس ، لو كنت إذا سرقتها أتيتني بها اشتريتها منك، قال: فاشتر هذا الذي بين يديك، قال: بكم؟ قال بدينارين، قال المأمون : أعطوه دينارين، قال: هذا ألان في الأمان[٥٧] ويبدو لي أن هذه الرواية هي اقرب للقصة منها إلى الحقيقة.

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة بحثي خرج البحث بجملة من النتائج والتي يمكن أجمالها **بالشكل التالي:-**

١- أثبت البحث إن خلفاء العصر العباسي كانوا على مستوى عالي من الحنكة السياسية ونفاذ البصيرة وسداد الرأي، وذلك من خلال أدارتهم القديرة لشؤون الدولة العباسية وفي كافة ميادينها.

٢- أكد البحث اهتمام الخلفاء العباسيين بشؤون رعاياهم والوقوف عليها ليطلعوا على أحوالهم تحقيقاً للرفاهية الاجتماعية.

٣- أوضح البحث ميل الخلفاء العباسيين وحبهم للشعر وتقريب الشعراء أليهم ومنحهم العطايا والجوائز تشجيعاً للحركة الأدبية.

٤-أوضح البحث الاهتمام الكبير من قبل الخلفاء العباسيين للقادة العسكريين والجند المقاتلة باعتبارهم الدرع الحصين الذي يدريء الأخطار عن الدولة ويحافظ على كيانها ووجودها.

٥- أكد البحث اهتمام الخلفاء العباسيين بالقضاء، وكانوا يحضرون مجالس القضاء بأنفسهم للوقوف على حقائق الأمور والكيفية التي تصدر فيها أحكام القضاة وذلك تحقيقاً للعدالة الإنسانية.

الهوامش

١- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد، (ت١٧٠هـ)، العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي،(بغداد،١٩٨١)، ج٢، ص٢٠٨.

٢- المصدر نفسه،ج٢،ص٢٠٨،ابن فارس، أبي الحسن احمد،(ت٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (بيروت،١٩٧٩)، ج٤، ص٣٥٣.

٣- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،ج٢،ص٣٥٣.

٤- أبو البقاء، أيوب بن موسى(ت١٥٧هـ) معجم المصطلحات والفروق اللغوية)تحقيق، عدنان درويش، محمد المصري، (دمشق،١٩٧٥)، ج٣، ص٢٧٩.

٥- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر،(ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق، محيي الدين عبد الحميد،(مصر ١٩٥٢)، ص٢٧١.

٦- المصدر نفسه، ص٢٧١.

٧- ابن الزبير، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله، (ت٢٣٦هـ)جمهرة نسب قريش، (القاهرة، ١٩٥٣)، ص١٠٩.

٨- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل محمد بن إبراهيم، (القاهرة،١٣٢٦هـ)، ج٣، ص٣٦٧.

٩- المصدر نفسه، ج٣، ص٧٦٠.

١٠- ابن طباطبا، فخر الدين محمد بن علي(ت٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السلطانية، (بيروت، ١٩٦٨)، ص١٧٩.

١١- المصدر نفسه، ص١٨٠.

١٢- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي،(ت٨٧٤هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، (القاهرة، ١٩٢٩)، ج٢، ص٢٠٥.

١٣- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص١٢٥.

١٤- المسعودي، أبو الحسن علي،(ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،(القاهرة،١٨٨٥)،ج٢، ص٢٣٢.

١٥- ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٦٦.

١٦- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٣٦٨.

١٧- ابن الزبير، جمرة تنسب قريش، ص١١١.

١٨- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٣،ص٧٦٣.

١٩- الاربلي، عبد الرحمن سنبط قنيق، (ت٧١٧هـ)، خلاصة الذهب المسبوك في مختصر سير الملوك، صححه مكي السيد جاسم،(مكتبة المثنى بغداد ب ت)، ص٨٠.

٢٠- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٢، ص٢٠٥.

٢١- ابن اعثم، احمد بن محمد، (ت٣١٤هـ)، الفتوح ،(بيروت، ب ت)، ج٨، ص٩٢.

٢٢- المصدر نفسه، ج٨، ص٢٠٠.

٢٣- المصدر نفسه، ج٨، ص١٩٣.

٢٤- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج٣، ص٣٣٢.

٢٥- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٤٠٢.

٢٦- السيوطي، تاريخ الخلفاء،ص٢٨٦.

٢٧- ابن اعثم، الفتوح،ج٨، ص٢١٢.

٢٨- رفاعي، احمد فريد، عصر المأمون، القاهرة،١٩٢٨) ، ج١، ص٣٣٢.

٢٩- ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي، (ت٦٩٧هـ) مختصر التاريخ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، (بغداد،١٩٧٠)، ص١١٤-١١٥.

٣٠- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨،ص٧٧.

٣١- المصدر نفسه، ج٦،ص٣٧٣.

٣٢- الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن احمد(ت٣٥٦هـ)، الأغاني، تصحيح الشيخ احمد الشنقيطي، (مصر، ب ت)،ج٦، ص٦٧.

٣٣- السيوطي، تاريخ الخلفاء،ص٢٧٤.

٣٤- ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت٧٧٤هـ) البداية والنهاية، (مصر، ب ت)،ج٥، ص٥٦١.

٣٥- المصدر نفسه، ج٥، ص٦٥٤.

٣٦- رفاعي، احمد فريد، عصر المأمون، ج١،ص٣٣٢.

٣٧- الزاب، منطقة بينها وبين الموصل مرحلتان، ويوم الزاب بين مروان الحمار بن محمد وبني العباس كان على الزاب الأعلى بين الموصل واربيل، الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، يا قوت بن عبد الله،(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (بيروت،٢٠٠٧)، ج٣، ص١٢٣.

٣٨- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٨،ص٨١.

٣٩- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر، (ت٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، (القاهرة، ١٩٠١)، ج١، ص٢٢٣.

٤٠- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٦، ص٤٠٠.

٤١- المصدر نفسه، ج٦، ص٣٨٩.

٤٢- المصدر نفسه، ج٢، ص٦٠١.

٤٣- المصدر نفسه، ج٥، ص٥٤.

٤٤- الجهشياري، محمد بن عبد الله بن عبدوس،(ت٣٣١هـ)، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي،(مصر، ١٩٣٨)، ص١٣٧، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٦٦.

٤٥- الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج٦،ص٤٠٣.

٤٦- المصدر نفسه،ج٦،ص٤٠٠.

٤٧- المصدر نفسه،ج٦، ص٤٠٠.

٤٨- ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم،(ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ، (بيروت،١٩٦٥)، ج٥، ص١٢١.

٤٩- الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي، (ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، (بيروت لا ت) ج١، ص١٦٦، الازدي، أبو زكريا يزيد بن محمد، (ت٣٣٤هـ)، تاريخ الموصل، تحقيق الدكتور علي حبيبه، (القاهرة، ١٩٦٧)، ص٣٠٦.

٥٠- الشريف المرتضى، علي بن الحسين،(٤٣٦هـ)غرر الفوائد ودور القلائد، تحقيق محمد محرر أبو الفضل إبراهيم ،(القاهرة، ١٩٧٤)، ج١، ص١٤٦.

٥١- البخاري، محمد بن إسماعيل،(ت٢٥٦هـ)، كتاب الجامع الصحيح، (ليدن، ١٨٦٤م)، ج٤، ص٣١٤.

٥٢- المصدر نفسه، ج٤،ص٣١٤.

٥٣- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٦، ص١٠١.

٥٤- المصدر نفسه، ج٦، ص١٠٢.

٥٥- المصدر نفسه، ج٦، ص١٠٧.

٥٦- المصدر نفسه، ج٦، ص١٠٢.

٥٧- ابن طيفور، أبو الفضل احمد بن أبي طاهر،(ت٣١٣هـ) كتاب بغداد، نشر هنس كلر، (سويسرا، ١٩٠٨)، ج٦، ص١٠١.

المصادر

١- ابن اعثم الكوفي، احمد بن محمد، (ت٣١٤هـ).

- الفتوح، (بيروت، ب ت).

٢- الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن احمد،(ت٣٥٦هـ).

- الأغاني، تصحيح الشيخ احمد الشنقيطي،(مصر، ب ت).

٣- ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، (ت٦٣٠هـ).

- الكامل في التاريخ، (بيروت، ١٩٦٥).

٤- الاربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو،(ت٧١٧هـ).

- خلاصة الذهب المسبوك في مختصر سير الملوك، تصحيح السيد جاسم، (بغداد، ب ت).

٥- البخاري، محمد بن إسماعيل،(ت٢٥٦هـ).

- كتاب الجامع الصحيح،(ليدن،١٨٦٤م)

٦- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر، (ت٢٧٩هـ).

- فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، (القاهرة، ١٩٠١).

٧- أبي البقاء، أيوب بن موسى، (ت١٦٠هـ).

- معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري،(دمشق،١٩٧٥).

٨- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف،(ت٨٧٤هـ).

- النجم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،(القاهرة،١٩٢٩).

٩- الجهشياري، محمد بن عبد الله بن عبدوس (ت٣٣١هـ).

- الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، (مصر، ١٩٣٨).

١٠- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، ياقوت بن عبد الله،(ت٦٢٦هـ).

- معجم البلدان،(بيروت،٢٠٠٧).

١١- الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي، (ت٤٦٣هـ).

- تاريخ بغداد، (بيروت، لا ت).

١٢- ابن الزبير، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت٣٦هـ)

-جمهرة نسب قريش،(القاهرة، ١٩٥٣).

١٣- الازدي، أبو زكريا يزيد بن محمد،(ت٣٣٤هـ).

- تاريخ الموصل، تحقيق الدكتور علي حبيبه،(القاهرة، ١٩٦٧).

١٤- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت٩١١هـ).
- تاريخ الخلفاء، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ٠مصر، ١٩٥٢).
١٥- الشريف المرتضى، علي بن الحسين،(٤٣٦هـ).
- غرر الفوائد ودور القلائد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، ١٩٧٤).
١٦- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ).
- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل محمد بن إبراهيم، (القاهرة، ١٣٢٦هـ).
١٧- ابن طيفور، أبو الفضل احمد بن أبي طاهر، (ت٣١٣هـ).
- كتاب بغداد، نشر هنس كلر، (سويسرا، ١٩٠٨).
١٨- ابن طباطبا، فخر الدين محمد بن علي، (ت٧٠٩هـ).
- الفخري في الآداب السلطانية، (بيروت، ١٩٦٨).
١٩- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد،(ت١٧٠هـ).
- العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (بغداد،١٩٨١).
٢٠- ابن فارس، أبي الحسن احمد،(ت٣٩٥هـ).
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون،(بيروت،١٩٧٩).
٢١- ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد،(ت٦٩٧هـ).
- مختصر التاريخ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد،(بغداد، ١٩٧٠).
٢٢- ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت٧٧٤هـ).
- البداية والنهاية،(مصر، لا ت).
٢٣- المسعودي، أبو الحسن علي،(ت٣٤٦هـ).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي،(بيروت، ١٩٨٩).

المراجع

١- رفاعي، احمد فريد، عصر المأمون،(القاهرة،١٩٢٨).